لفظ الجيم عند العرب

أهو حَلْقِيٌّ كما في مصر ام شَجْرِيٌّ كما في بلاد الشام

(للاب هنري لامنس اليسوعي)

تلك مسألة خاضت فيها من بضعة اشهر بعض المجلَّات المصريَّة كالبيان والهلال. ولا نخال الاولى منهما اصابت في قولها «لم نجد مَن نبَّه على ذلك ولا تكلَّم فيهِ» لانَّ المسألة ليست بمستحدثة فكثيرون من الاوربيين المستشرقين تعرّضوا لها. ونحن ايضاً ذكرناها في احد اعداد البشير (٢٨ حزيران ١٨٩٤)

وليست غايتنا اليوم ان نعود اليها فنوفيها حقَّها من البحث. بل جلّ قصدنا ان نزيد بعض ملاحظات نستلفت بها انظار رصفائنا الافاضل الى امورٍ اضربوا عنها. ونورد في خلالها اهمّ الادلّة على حقيقة لفظ الجيم

واوّل ما نقول ان لفظها الحلقيّ وهو القديم الاصليّ شائعٌ في عصرنا شيوعاً لم يخطر للناس ببال فهو السائد فضلًا عن مصر في بلاد نجد واليَمَن وعند كثير من قبائل العرب النازلة في ما بين النهرين. ولا تخلو منهُ مرّاكش ففي لغتها عدد من الكلمات تلفظ جيمها حلقيّة (١. فتلك حجّة قويّة توهن اعتراض القائل بان اللفظ الشجريّ هو الشائع الآن بين العرب وكاد يعمّهم

ولو فُرض انّهُ عامّ فلا يستنتج من ذلك شيء. لانّ كلمات عديدة في اللغات الاوربيّة قد أُبدل اللفظ في بعض حروفها كلّ الإبدال وبعضها لا يزال يتبدّل حتى الآن. فانّ الراء (r) مثلًا لا يمضي علينا الاعوام القليلة الّا اصبحنا لا نسمع في فرنسا من ينطق بها على اصلها. اذ يكاد الجميع ولاسيما في المدن يلفظونها كالغين على طريقة باريس. وهذا الحرف قد أُبدل ايضاً لفظه في المانيا وانكلترة

وزد على ذلك انّ حرف g في اللاتينيّة الذي يشبه لفظهُ الجيم المصريّة كما لا يُخفى قد اصبح يُلفظ كالجيم الشاميّة في كثير من البلدان كايطاليا وفرنسا وبلجكا وانكلترة امّا لفظ الجيم الشجريّ فانهُ ضيّق النِطاق دون ما قدّمنا. لانّ هذا الحرف ما عدا

(١ Reconnaissance au Maroc par le Vte de Foucault, p. 2

لفظهِ الحلقيّ يُلفَظ ايضاً كالياء في حَضرَموت وفي بعض نواحي فلسطين وسوريّا . وكان يُلفظ ايضاً مثل الكاف والقاف في اليمن(١ . كما ذكر ابن دُريد والمقدسيّ (في الصفحة ٦٦)

ولا يصعب علينا ان نبرهن انّ اللفظ الحلقيّ ليس هو فقط شائعاً في عصرنا بقدر شيوع الشّجريّ بل انهُ اقرب ايضاً الى الاصل. فالمؤرّخون والجغرافيّون من اليونان كثيرًا ما كتبوا عن عرب الجاهلية. والسّواد الاكبر منهم مثل أسترابون وبروكوب وسوزومن وايقاغريوس وماَللَا وتيوفان وغيرهم اوردوا امورًا جرت في عهدهم. فاذا ما ذكروا اسماء علم عربية ممَّا يدخلها الجيم استعملوا في التعبير عنها الحرف اليوناني γ وهو كالجيم المصرية. مثلًا : جبَّار Γαμβαρος. جبلة الغسَّاني Γαβλα. حُجر آكل المرار Αγαρος. جَفنة Γνουφας . ضُجعُم Ζογομος او Ζοχομος . هذا واليونان الاقدمون لم يعرفوا قطّ الجيم الشجريَّة والمحدثون منهم يجدون صعوبة زائدة في حكاية هذا الصوت فيعبرون عنهُ بحرف z (٢

فلنعكس الامر ولننظر في ما نقلهُ العرب عن اليونانية واللاتينية الى لغتهم. والكلمات من هذا القبيل عديدة. فليس من ينكر ان حرف γ اليونانيّ وحرف g اللاتيني كان لفظهما في كل آنٍ كالجيم المصرية ولم يكن قطّ فيهما مشابهة بالجيم الشامية. فكيف عبّر عنهما عرب الجاهلية ؟ لعمري لو كانوا عارفين بلفظ الجيم الشجريّ لاستعاضوا احيانًا عن هذا الحرف بما يقاربه في المخرج كالشين والزاي. على اننا لم نَرَهم استعملوا غير الجيم والغين وكلاهما حلقيّ. وهاك بعض الكلمات مع بيان اصلها الذي نقلت عنهُ : بُرْج πυργος او burgus (٣ . بُرْجُد paragauda . سِجلّ sigillum . مَنْجَنيق μαγγανικόν . طَيْجَن τηγανον . سرجيس Σεργιος (٤ الخ . وفي كلمات أُخرى عبروا بالجيم عن الحرفين اليونانيين κ المجانس للكاف و χ المجانس للخاء . نحو : نَرْجِس ναρκισσος . بَرْجَا (٥ τοπαρχια (٦ .

١) وفي اللغة آثار كثيرة لهذا الإِبدال مثل مقذاف عوض مجذاف. وقد نبّه على ذلك القلقشندي في كتابهِ صبح الاعشى

٢) ورد في كتابةٍ من القرن الثالث عشر التعبير عن كلمة (jour) الفرنسية بهذه الصورة τζιουρ

٣) burgus ذُكرت في كتابةٍ اكتُشفت بحوران

٤) اسم شهيد ورد في ديوان الاخطل صفحة ٣٠٩. وهو في لفظ العامَّة سركيس

٥) تصحيف لاسم ضيعة ما بين جونية وجبيل

٦) Mission de Phénicie, 326,

ولا يخفى ان لا علاقة بين الكاف او الحاء وبين الجيم الشجريّة

هذا فضلًا عن ان الجيم تُبدل في العربيّة نفسها — بالكاف. نحو: درجات ودركات. جِنّ وكِنّ. — او بالقاف. نحو: جذَفَ وقذَفَ. جدّ وقدّ — او بالغين. نحو: جرجر وغرغر. دَجِرَ الرجلُ ودَغِرَ. دَجَنَ ودَغَنَ الخ

فيستدلّ ممّا تقدّم على انّ الجيم حلقيّة لوقوع التبادل بينها و بين الاحرف الحلقية وهذا التبادل قديم العهد. ومثله لفظ الجيم كافًا. فابن درَيد يقول ان لفظها هذا كان شائعًا في اليمن وسائدًا في بغداد

وبقيت آثارٌ للفظ الجيم الحلقية حتى في القرون المتوسّطة. فان علماء ذلك العهد اوردوها في كلمات كثيرة نقلوها عن العرب. نحو: asangue المشتقة عن الصَنج و regulus عن رِجْل. وهما اسمان لنجمين. ومنهم مَن عبروا عن الجيم بحرف c الملفوظ كافًا. نحو: doronic (دَرُونج). cétérac (شيطَرج). emblic (أملَج)

هذا وان سهل علينا ان نثبت حقيقة لفظ الجيم فلا يتيسّر لنا تعيين الزمن الذي فيهِ تبدل هذا الصوت فصار شجريًا. فليت شعري عمّن اخذ العرب هذا اللفظ؟ لمن المقرّر انّهم لم يأخذوه عن جيرانهم وهم يجهلونهُ فان العبرانيين والسوريين والاشوريين والفينيقيين كاليونان واللاتين ليس في لغتهم غير الجيم الحلقية

وقد طرحت مجلّة الهلال السؤال نفسه واجابت عليه ان الجيم الشجريّة مأخوذة عن قريش. لكنّ الادلّة على ذلك قليلة فضلًا عن انها لا تُقنع. فان تكن قُرَيش عمّمت لغتها في كل البلاد التي فتحتها فما بالُ مصر خالفتها بذلك وفيها توطّن من القرشيين أصحاب عمرو ابن العاص؟ وان قيل «انّ لفظ اهل القاهرة عارضٌ من امد غير بعيد» قلنا وهل لفظ الجيم الحلقيّ في ما بين النهرين ونجد ومراكش عارضٌ ايضًا من امد غير بعيد؟

وما اقرب جواب الهلال الى الصواب لو كان هذا اللفظ محصورًا في قسم من القطر المصري. لكننا نجدهُ في اقطار مختلفة تبعد عن مركز اللغة العربية. والافتراض وحدهُ ايًّا كان لا يكفي لحلّ هذه المسألة

وقيل ايضًا «ان علماء اللغة في اوائل الاسلام لما ضبطوا لفظ الجيم عيّنوا مخرجها من الشجر كما يلفظها اهل الشام». فنسأل ما هي هذه مؤلفات علماء اللغة في لفظ الحروف العربية واننا نودّ لو وقفنا عليها. وقد بذلنا الجهد في البحث عن الصرفيين والنحاة الاقدمين

الذين اتصلت الينا آراؤهم فلم نجد لاحدهم كتاباً سبق القرن الثاني للهجرة. وفيهِ كان قد انتشر لفظ الجيم الشجريّ كما يستدل من القرائن

ولا نخال الهلال ايضاً مصيباً في استناده على استعمال الجيم في الالفاظ العربية المنقولة الى الفارسية مثل « جهاد وجامع ». لان اللغة الفارسيَّة مستحدثة وهذه الكلمات انتقلت الى الفرس في زمن كان قد ساد فيهِ اللفظ الشجري

فان رغب الينا سائل وطلب ان نبين تعيين الزمن الذي فيهِ جرى هذا الابدال من الحلقيّ الى الشجريّ اجبنا بكل صراحة اننا نجهل ذلك. امَّا اذا كان لا بدَّ من ابداء رأينا في المسألة قلنا ولكن مع التحفظ وليس قولنا الَّا من باب الافتراض: ان الجيم الشجرية ظهرت بنفوذ العجم في البلاد المجاورة لهم في ما بين النهرين والعراق. ولا يبعد انها كانت لغة اهل البلاط في الدولة العبَّاسية التي قوي فيها النفوذ العجمي منذ القرن الثاني للهجرة. وكأنما الناس حاولوا التشبه باهل البلاط وسكَّان العاصمة. كما ان الجميع في فرنسا يتشبهون بباريس في لفظها ولو سقيماً

هذا ونحن نكرّر القول ان ما ابديناه ليس الَّا رايًا نعدل عنهُ متى دلّنا البرهان على مذهب آخر اقرب الى الصواب. انهُ تعالى ضياء المسترشدين

داء السلّ وانتشارهُ في سوريّا

(الدكتور حبيب افندي الدرعوني)

ولا تقل انَّ الصغير عاجزٌ   هل يجرح الليث سوى ذُبابهِ

وذُباب السلّ الذي يلجُ جسم الانسان اصغر من أن تدركهُ العين المجرَّدة فطالما اختبأ عن الابصار لا يُدرى الَّا بافعالهِ ويبارز الروح فيجذبها بخطـاطيف السقم والهزال ويقطف من كل قطرٍ زهرة النساء والرجال

ولمَّا نهض رجال العلم للتنقيب عن ماهيَّة تلك العلَّة انفرد فيهم الفرنساوي ڤيلمين بالقول انَّ داء السل مسبَّبٌ من جرثومة آليَة اذا لقَّحت جسمًا سليمًا صار معتلاً. ثم جاء على إثرهِ الدكتور كوخ فتسنَّى لهُ ان أماط الستر عن تلك الجرثومة فأبصرها بعين المجهر فاذا بها خطًّا دقيقًا سمَّوهُ باشلّس كوخ باسم مكتشفهِ (كما ترى في الصورة بالصفحة ١٢٠). ينساب في الجسم فيغتذي على نفقة اعضائهِ وغالبًا ما يختار منها ادقَّها وألطفها واهمَّها لقيام الحياة اعني الرئة فينهشها رويدًا حتى يَنحل الجسم ويتضعضع من وراء تلك الطّعنات الخفيَّة